القسم الثالث

في الرمال الناعمة على شطآن الوجود !

مسعود محمد

بقى الكلام في الهيئات الحاكمة وفي الوسطاء وفي طلائع النضال :

اما الوسطاء فانهم حيوانات طفيلية تعيش على الفساد في الاوضاع العامة وتتسلل الى مظان المنفعة من خلال اية فجوة في ضوابط المصلحة والشرعية سواء في ساحة السياسة او القانون او القضاء او الاعراف والعقائد وليس في الامكان توقع زوالها في ظل الفساد العام . وشر انواع الوساطة الشوهاء ما كان منها يمارسه الموظف بما يملك من سلطان الحكومة .. ومن العبث الدخول في تفاصيل موضوعها لارتباطه بغيره .

اما الحكومات فانها مسؤولة في درجة من الوضوح يصعب تحديد مداها . هل هي الاولى ام الثانية بعد مسؤولية طلائع النضال والقائمين بالنشاط السياسي مضافاً اليهم مجموع افراد المحكومين .. ووجه الصعوبة ياتي من ناحيتين : اولاهما انه يكاد يكون من باب المتعذر او هو في منتهى العسر ان يكن الوسط الاجتماعي فاسداً ويكون حكمه صالحاً ويا حسرة المنصف حين يجد الفرد الصالح في جمهور من الفاسدين يصبح عائقاً في المجرى الفاسد للامور فيؤخر لحوق الثمرة الفاسدة ولا يقدم ثمرة جيدة بدلاً منها . ويا خيبة الخيبات حين يتصدى جمهور المحكومين بالتعنيف والزجر لشخص نظيف يحاول تقويم المعوج ..! الا ان العلامة الفارقة بين الحكم الفاسد في المجتمع الفاسد وبين المحكوم الفاسد هو ان الحاكم احق بالعقوبة تبعاً لزيادة حظه في المنفعة وانه القابض على موازين الصلاح والفساد والقادر على ترجيح الكفوف . فاذا التزمنا في قولنا جانب الواقع القائم والواقع المنتظر دون ان نمزج امانينا الطيبة او روح الموعظة في نظرنا الى الاشياء لم نجد في الافق المنظور بعالمنا الثالث خيوطاً واضحة للتبشير بالتغير الى الاصلح الا اذا تطوعت الحكومات من طيب ذاتها بذلك . وهذا راي لا ادخل في تفاصيله لشدة وضوحه ووضوح صوابه في ماجريات الامور وتجاريب الايام ولان جانباً منه يدخل في كلامنا على دور المناضلين وعموم السياسيين خارج نظام الحكم ومدى مسؤولية الجماهير من منظور ما نحن بصدده من بيان الاحوال ومدى احتمالها للصلاح في دنيا البؤساء .

الواقع هو ان احق العوامل المذكورة فيما سبق بالتاكيد عليه والاهتمام به وصرف الانتباه اليه هو العامل الذي يمثل الجانب الخاسر والمتضرر والمتبرم من الاوضاع الفاسدة وهو نفسه الجانب المستفيد من تبديل الفساد بالصلاح فليس يوجد كبير جدوى في طلب التبديل من ناس يتضررون بالتبديل ولا يتعدى اثر اي راس او حكمة او فلسفة تساق في هذا المجال قوة الموعظة الحسنة ومعايير الاخلاق والتغني بالفضائل فما عسى ان يفيد قولي او قولك : ايها المرتشي عار عليك الرشوة ..

يا ناهب مال اليتامى حرام هذا المال وهو نار في بطنك يوم القيامة . فالمرتشي يعلم مثلي ان الرشوة حرام ومخل بالمروة ومعرة خلقية وظلم صارخ فهو ما اشتهاها ابتداء الا لانها منفعة غاية كلفتها عليه هي الاستهانة بالقيم : ولو كان ثمنها هو المخاطرة بالدخول في معركة بنادق ورشاشات لما اقدم عليها الا اذا كان فرداً في عصابة وليس موظفاً اوفر سلامة من عامة الناس . خلاصة القول هي ان الجهة التي توجه الدعوة اليها في طلب التغيير هي مجموع الساعين النشطين في ميدان السياسة غير الرسمية ومجموع الجماهير المتحملة لشرور الفساد ..

ولئن كان المتضرر الاول والافدح خسارة هي عامة البؤساء فليست هي المرشحة الاولى للتخصيص بالخطاب وانما المرشح الاول هو عامة المثقفين ولاسيما الملتزمون بالشعارات والايديولوجيات السياسية والناصبون انفسهم متكلمين باسم الشعب ومطالبين بالتغيير وهم يتوجهون للسلطة بالنقد والمعارضة ويتوجهون للناس بطلب التاييد منهم لمساعيهم .

صحيح ان فداحة الضرر يجب ان تكون البوصلة الموجهة لاهتمامنا ولكن حقائق الاحوال تقول لنا ان الغالبية العظمى من البؤساء لا تفهم شيئاً مما يقال لها في الكتب والمقالات بل انها لا تملك اقل رغبة في سماع الكلام العميق المتصدي للتنظيرات والتسبيبات فهي كالمريض الذي لا يفهم في الدواء الذي يتعاطاه الا ما كان منه ظاهر المنفعة بطول تناوله لها . ان رغيفاً من الخبز ومتراً من قماش ساتر للعرى هو اغلى من كل مناهج السياسة والاقتصاد ومدارس الفنون والآداب في نظر الجائع والعاري . ولكن ليس من شك في انها اذا لمست منفعة حقيقية في دعوة الدعاة وخطبة الخطباء وهتاف المتظاهرين فهي تضع ثقلها في كفوفهم وتعينهم على قدر الامكان في تحقيق اهدافهم . لهذا ولكل سبب آخر من اسباب الترجيح لا يبقى امام الكاتب والقائل في (قضية الانسان) الا وجهة واحدة يمشي فيها وهي وجهة الطلب الى المثقفين عموماً والسياسيين من غير الحكام خصوصاً ان يسلكوا مسلكاً فيه ضمان النجاح او فيه امل بالنجاح في اقل تقدير علماً بان هذا التخصيص لا يمنع الحكومات ايضاً من الانتفاع باية حكمة

تجدها مقبولة في مقاييسها فالمقصود في التخصيص هو عامل الترجيح الموجود في التغيير بوصفه اصدق معيار في معرفة الاصناف المستفيدة من التغيير كي يكون الخطاب موجهاً اليهم بالدرجة الاولى املاً في تحريكهم نحو الوجهة او المنهج المعين على التغيير .

ان الاهتداء الى الوجه الصحيح الذي يفيد فيه الراي هو الخطوة الاولى في المسيرة وليس المرحلة الاخيرة فيها . وبقدر السهولة النسبية في تعيين هذا الوجه تاتي الصعوبة في اقناع فرقائه واشياعه بمنهج معين يرضاه الكل وانه من الواضح البديهي ان بقاءهم متوزعين على مناهج متباعدة متصارعة يقتل الامل فيهم مرتين : المرة الاولى هي انهم في حال تفرقهم لن يكونوا موضع امل اي عاقل . والمرة الثانية هي انه بفرض وصول فئة منهم الى الحكم فستقضي على باقي الفئات وهي حقيقة مؤكدة في الواقع وفي النظرية . اما في الواقع فقد شهدنا امثلة كثيرة في كثير من بقاع الدنيا تصدق وتؤكد ان دوام التفرق اثناء النضال هو ايذان بدوام التفرق في كل حال وان الباس والعنف المتولد منه في التصادمات اثناء المظاهرات الاحتجاجية سينزل باطراف الحركة السياسية فيما لو وصل واحد منها الى الحكم فيكون صديق الامس عدو اليوم لتعود الى الوجود الصورة القديمة السابقة على التغيير ويحصل الدوران في الحلقة المفرغة ويستمر الفساد القديم في موديله الجديد بزخم اشد وبادعاء قدسية في التصرف لم تكن موضع ادعاء النظام القديم ..

فلكي يكون نضال السياسيين والمثقفين في طلب التغيير مؤثراً ونافعاً لابد من اتفاقهم على منهج واحد اقوى وامتن في حد ذاته واجمع للاطراف المتعددة من مناهج الجبهات الوطنية التي الفناها ولمسنا من نتائجها اموراً تقشعر منها الابدان وتشيب بها الولدان . لا خير في منهج ينقلب في حال نجاحه الى مطحنة ومحرقة ومسلخ ولا فخر في التضحيات تزول باصحابها في حال نجاحها الى قاتل ومقتول وساجن ومسجون وقاهر ومقهور في الاستئثار بالسلطة . اني لا املك من الوقت ما يكفي لبيان رايي كاملاً حتى اثبت للقارىء ان (الشيء الممكن في حد ذاته) يمكن تقريبه واختزال الزمن فيه وتجنب الاسراف في تحقيقه اذا صار فهمه وفهم مستلزماته بعمق وايمان ونزاهة من قبل الساعين الى الخير والمجاهدين ضد الشر . والاشياء الممكنة تتفاوت في درجة صعوبتها فلم يكن من الممكن قهر الجاذبية والوصول الى القمر الا بتوفير اسبابه العلمية والتكنيكية في زمنه الذي نعرفه او بشيء قليل من التقديم اما تحقيقه في اوائل القرن العشرين فكان من باب الممتنع ، على حين امكن تحقيق الصلاح الاجتماعي ونشر العدالة واحترام الانسان وتقديس اختياره في عدد غير قليل من شعوب العالم المتقدم منذ اكثر من مئة سنة . ومن المفارقات التي لا توجد الا في نوع الانسان ان الوصول الى مراتب متقدمة في قهر الجاذبية وفي التفجير النووي هو اليوم اسهل على دول العالم الثالث بشراء اسبابه من تحقيق العدالة والديمقراطية والعيش السوي مع انها لا تحتاج الى اجهزة سحرية وانما الى تصرف حضاري ليس اكثر من (تعامل) و (كلام) . وما اوردت هذه الملحوظة بسبب اني حائر فيها فهي مفهومة عندي وذات بساطة وتسطح تكاد تضحك على نفسها فالحكومات اذ تبذل المال العام في شراء القوة النووية تزيد من قوتها ودواعي سيطرتها وديمومتها ومضاعفة قدرتها على التنافس لكن التصرف الحضاري الذي لا يكلف درهماً واحداً يضرها ربحاً وسلطة ووجوداً . مع ملاحظة اضافية وهي ان الحساب الختامي والنهائي في التزيد من القوة وفي التمنع على الحضارة يتضمن مخاطر هائلة لا يدركها الحاكم او لا يريد ان يحسب لها اي حساب في قصر نظر وتبلد وعي وعماية ضمير مذهلة ولا نملك نحن خياراً او قدرة او راياً في تعديله وتصويبه الا الاماني الطيبة والدعوات الصالحة وهي اعجز من ان تحرك شعرة واحدة في راس شبه اصلع .. واقول بصدد تقريب الممكن ان له اشكالاً لو كان المتصرفون فيها على مثل رايي لوفروا على انفسهم وقتاً مضنياً وكلفة مفقرة ومخاطر ماحقة فانت ترى ان دولاً متقدمة وجهات سياسية من شتى المستويات تقضي الستة والخمس والعشرة في التفاوض على امر معين ينتهون بعدها وبعد مصائب هائلة حدثت ومنافع ضخمة اختفت الى التفاهم على جانب منه التقت فيه آراؤها وفيه الكفاية منذ البداية لمنع الضرر الذي حصل . فلو كنت انا وشخص آخر يشاركني النظر الى الاشياء متفاوضين على الموضوع نفسه لانتهينا فيه خلال يوم واحد الى النتائج نفسها والى امور اخرى التقي فيها انا مع من يماثلني في الطرف الآخر من منضدة التفاوض . فانا ارى من الرعونة المعيبة والمخلة بالانسانية والمروءة ان نطمع بقطعة ارض او في قرارة نفس بمقدار (س) من المصلحة في المفاوضة فاستهلها بطلب (مئة س) ويفعل غريمي الشيء نفسه فنظل في مهارشة الديوك

والكباش سنة وسنتين حتى نصل في التنازل بعد طلوع الروح الى المقدار الذي نتراضى عليه وكان يمكننا ان نتراضى عليه منذ البداية . انا اعلم بالبداهة ان كثيرين من المتشدقين يتصدون لوصف رايي بالسذاجة من حيث انه يتجاهل المداخل والمخارج والسراديب والكهوف في المصالح الكبيرة ومطاليب النفوس الطامحة والطامعة والنهمة والمتشوفة .. و .. والخ ولكن مثل هذا الاعتراض هو نفسه جزء من المحنة التي يعانيها الانسان ولا سيما انسان العالم المتخلف فالمتحضرون في غالب الامور اجتازوا في بلدانهم مرحلة الاستسلام للكوارث سواء ما كان منها بنت الطبيعة او رشح النفوس الضارية البهيمة بل انهم مجوا حتى الكسل الذي لا مبرر له وصاروا يعتبرون التهاون في المسؤولية واداء الواجب علامة على الهمجية . انا اذ نتكلم في مشاكل العالم المتخلف فلسنا نستعرض حديقة للزهر والشجر والماء السلسبيل والعشب المخضوضر لنمد الى وروده ورياحينه انامل الحرير وكفوف المخمل : انا نحملق في مريض اصاب بعض جسمه السرطان فلابد من بتره بعملية جراحية ماهرة ليس على يد مسعود محمد وانما على ايدي مهرة سحرة تناهوا الى اعمق اعماق المشاكل ونفذوا الى اخفى الخفاء في العلاج وقد يجدون في هذه التفاصيل جذوراً ضربت في عمق الطبيعة واغوار النفس يعجز عنها حتى الخيال البشري وتفشل كل الاجهزة المعجزة التي تم صنعها حتى اليوم . قرات في بعض كتب الفيزياء الحديثة ان التمكن في كنه الذرة يحتاج الى مضاعفة كتلتها عن طريق (التعجيل ـ التسريع) في جهاز للتعجيل بطول (المجرة) على حين كان طول اطول معجل في امريكا ثلاثة كيلومترات وان اقصى مدى لمضاعفة كتلة الذرة حققه البشر هو ٢٨ ضعفاً . وحدث بعد نشر ذلك الكتاب وفي النصف الثاني من عام ١٩٨٩ ـ على ما سمعت من الاخبار ـ ان صنع الاوروبيون بمشاركة دول كثيرة معجلاً بطول ٢٧ كيلومترا في نفق تحت الارض على حدود فرنسا وسويسرا : فاذا ملات عينيك ووعيك . ايها القارىء . من هذه الحقيقة في مدى بدائية العلم بحقائق الوجود ، وكل شيء فيه يؤثر في البشر ، فانظر كم هو غافل ذلك المتشدق الذي يستغرب قولي للمرتشي : لا ترتش وهو قول لا يتعدى تفجير فقاعة طافية على سطح الماء على حين يكون المطلوب هو كري الساقية التي ركد ماؤها بسبب تراكم الطمي والطحلب والعشب فيها فما عسى ان يقول ذلك الغافل اذا تصدى احد لتنظيف مجرى الساقية بالمسحاة ؟ لست اعدو الحقيقة اذا قلت اني احد القلائل الذين وصلوا الى قناعات واراء نهائية في الوقوف عند حد الممكن من المطاليب والاهداف المقدور عليها . وربما كنت ايضا واحدا من القلائل الذين يحبون تسمية الاشياء باسمائها فهي بدورها تعين على تفريق الممكن من المتعذر فضلاً عن انها تذود القائل من التمويه والالتواء . ولا اظن ان هناك موضوعا يطلب الوضوح او الصراحة اكثر من السؤال عن مستقبل الانسان وهل له وجود ؟ فقد اقتضى ذلك مني التحول الى الحاضر والانتقال منه الى المستقبل بعد تفريقه الى مستقبل منظور وغير منظور ولم يزل كلامنا يدور على المنظور منه في جزئه الخاص بالعالم الثالث وفي الشريحة المثقفة والمناضلة منه وكيف يجب ان تتصرف حتى تضمن مستقبل شعوبه .

على اي حال انا اذا استثنينا حالة ما اذا تطوعت الدول القوية الغنية الكفية برفع مستوى عالمنا المتخلف وهو شيء متعسر بعيد الاحتمال . فليس امامه الا وخز نفسه لعله يقف الى التدني . فاذا استبعدنا حكوماته والشرائح التعفينية من منتفعيه في هذا المسعى المطلوب للخلاص من الحفرة التي هو مضطجع فيها فلابد من التوجه الى الطلائع من المثقفين والسياسيين لعلها تهتدي الى الاجتماع تحت مظلة واحدة بنسيان كل نقاط الخلاف بين اطرافها فالشرط الاول والخطوة الاولى في مسيرة الخلاص هو تبديل الحكم الفاسد بالحكم الصالح حيثما كان الحكم فاسداً وما اكثره في عالمنا . وفي افياء هذه المظلة يجب ان يختفي تماماً محاولة اية جهة او شريحة او عقيدة التفرد بالحكم او مضايقة غيرها فيما تؤمن به . وليس الحكم الصالح في مثل حال العالم البائس شيئاً موهوماً من صنع الخيالات والافتراضات فكما ان الحرب تفرض على البلد المحارب نسيان خلافاته الداخلية كذلك التخلف المسربل لعالم البؤساء يستوجب باكثر مما تستوجبه حالة الحرب في البلد المتقدم التضام والالتحام والانسجام والانتساج . اما ضرورة الاجتماع تحت مظلة واحدة في البلدان الفقيرة المتخلفة فهي ليست فقط ضرورة وحتماً وفرضاً وديناً من منظور مجاوزة الذات في التخلف بل انها قبل كل شيء انسلاخ المناضلين والسياسيين والمشاركين في المطاليب العامة انسلاخاً كاملاً وجذرياً ونهائياً من روح الفردية والمغالبة والاستعلائية وتبديل كل طرائق التناقض والخلاف والمهارشة على اية عقيدة او فلسفة تحفر الاخاديد في جبهة الساعين في خلاص شعوبهم وخلاص انفسهم من عار التخلف وجريمة الجوع والجهل والمرض وتحليل القتل والهدم . اما صعوبة ذلك الانسلاخ فهي ليست نابعة من طبيعة المصالح المتباينة فلا توجد مصلحة اقوى واضخم واقدس واشرف في قاموس البائسين من حتمية التفاهم بل الاندماج في طلب الخلاص من اكل النفايات ولبس الاسمال المرمية في القمامات وعرض الذات وذوات الاولاد والبنات للبيع العلني لقاء لقيمات تسد الرمق لبضعة ايام .

ان الخلاف على نسبة الضريبة او وسعة التملك الفردي في شعوب تموت جوعاً وعرياً هو في حد ذاته جوع جديد وهو في الوقت نفسه اقرار بعدالة الاوضاع التي خلقت الجوع والمذلة . ومن اغرب انواع الغباء والغفلة ان يطلب المثقفون والسياسيون من الشعب الجائع من وزير حزبي ومحافظ حزبي بالحياد التام وبالنظر الى المواطنين في غير حزبهم وفي حزبهم بعين واحدة ثم يبقون هم ينظر بعضهم الى بعض بعين التحيز والتفريق ويدعون اشياعهم انصاف الموتى الى الدوام على التميز والتحيز والتفرق والمهارشة مرة باسم الدين ومرة باسم العقيدة السياسية ومرة باسم القبيلة ومرة باسم الحزبية التي تكونت بالصدفة مستقلة عن حزب آخر ، كل ذلك في وقت واحد وعلى مدار الزمان .. اني اتجاوز صعوبة هذه المرحلة بافتراض انها شيء ممكن وواجب وحتمي ومتحقق فانه بغير تحقيق (وحدة الراي) مضافاً اليها واقعية الاهداف وصلاح المناهج ودوام العقلانية يكون الكلام في الخلاص من عيشة الزرائب والتسكع على هامش الحياة المنكودة خيالاً من الوهم وهراء من هذيان المسطول ..

اذن يمكن الاشارة الى لب ما سلف من كلام طويل عريض من منظور (مستقبل الانسان) ان هناك شعوباً حققت ماضياً مقبولاً وحاضراً مزدهراً يبشر بمستقبل اكثر ازدهار بشرطين : شرط الخلاص من الرعب النووي وبقية مصادر التخريب الشامل وشرط مغالبة التاثير السلبي الكاسح المنبعث من طغيان سلبية وجود البؤس والتخلف للاكثرية الساحقة من سكان العالم فانك اذا ربطت سباحاً حياً ماهراً بجثث ثلاثة موتى فيستغرق ويموت بدوره قبل ان يصل الى الساحل .

والكلام في المستقبل البعيد للانسان هو في جزء كبير منه مجرد تخمين ولكن بامكانه ان ينهض على اسس مقبولة من المنطق والواقع فهو تخمين غير جزافي وغير افتراضي .

والنظر الى المستقبل البعيد في تسديد وعلى قدر ضروري من الاخذ بالاحوط في التحسب للاحتمالات . هذا النظر مشترك في جزء هام منه بين المستقبل المنظور وغير المنظور وقد اخرت ذكره منعاً للتكرار ولا ارى داعياً للتصريح في كل مرة ان هذا الشرط مشترك او غير مشترك واترك للقارىء تقدير ماهو مشترك في جملة الكلام الذي سيجيل فيه نظره ..

لست اتصدى لصياغة المواصفات التي تبيح للشخص الذي يرى رايه في مستقبل الانسان البعيد (او القريب) فلست احتل مقام الحكم في اختيار الاصلح ولو جرى تحكيمي لرفضته لاني لا املك مقومات هذا الاختيار بل ان حيازة الشروط اللازمة محكم بهذه الخطورة ادخل في باب المتعذر على اي انسان مهما بلغ من مراتب اللياقة لان موضوع التحكيم غير محدود ولان اللياقة ستظل محدودة . ولعلي املك الحق في سبق نفسي الى قول له مكانه الاصلح في اتي الكلام اذ اقول الان ان المجال المتصور لجواز ابداء الراي النهائي او الراي المرجح في موازين الامتحان ، هذا المجال متصور في طرفين اولهما هو بلوغ البشر مديات عالية قصوى في تطوير علمه وتكنيكه حتى يخلق وسائل تفوق مدى خيالنا من قدرتها على السبر والاستشعار والاستشفاف والاختزال والتكثيف والتسريع والتبطيء والاستحداث والافناء وما لا يخطر على الذهن من القدرة على توفير مقومات التنبؤ الدقيق بنتيجة معادلات ذات الوف العوامل ما بين مفهومة التصرف كالمواد والقوى الفيزيائية وبين غير مفهومة التصرف وهي عامل الاحياء وفي قمتها الانسان الذي يكاد يتعذر التنبؤ بما سيفعل . واقرب الصورة الى ذهن القارىء باقتباس فقرات من الصفحة ٤٥ لكتابي الموسوم (من هموم الحياة) الصادر سنة ١٩٨٨ من مطبوعات الامانة العامة للثقافة والشباب اقول فيها : « ... فقد ياتي جهبذ الغد بابتكار وسيلة في طوايا المجهول تترجم احاسيس البهم الى لغة مفهومة في قاموس البشر فليس بالمعرفة عسر هضم او تصلب شريان كي تعي بالمحسوس او بالمفهوم او بالمستخلص او بالمستكنه او بالمستشعر او بالمستسر الذي يطلب الف سنة من الفكر والنظر والتجريب . ويا ليت ان للجماد مسحة روح ولمسة حس تحتجب اليوم من فالق الذرة ومرتاد الفضاء فقد يطلع عليها في غد مرتاد الذرة وفالق الفضاء فيختصر به المسافة الفارقة بين المعرفة والمطلق الى حد الملامسة تكون بعدها الملابسة فالمعرفة مداح بلا انتهاء تنداح فيه انسانية الانسان على مقاس الازل والابد زماناً واستطالة البعد السحيق مكاناً » .

والمطلوب في هذا الاقتباس هو ختامه الذي ورد فيه اختصار المسافة الفارقة بين المعرفة والمطلق الى حد « الملامسة » تكون بعدها « الملابسة » وهي نهاية الاستشفاف للخفاء المذكور في مراتب (المحسوس والمفهوم والمستخلص والمستكنه والمستشعر والمستسر) وهي مراحل لا يستطاع التكهن بمداها وبمقدار القدرة البشرية المتنامية على اختصاره . والمعرفة تبقى محدودة المقدار ومقيدة الشيوع والانتشار في الماهيات حتى تتجاوز ملامسة (المطلق) الى (ملامسته) اي الحلول فيه . وبفرض انك علمت كل شيء يتصل بالفلك على حسب ما هو في طوق الانسان واجهزته من الاحاطة بالاشياء فان علمك بنجم القطب ، مثلاً ، هو علم بحاله قبل كذا سنة قطع خلالها ضوؤه المسافة الفاصلة بينه وبينك . ومن النجوم والعوالم ما لا تعلم اي شيء حدث فيه او له منذ كذا الف مليون سنة لان ضوءه الذي يصلك في يومك هذا قد انفصل عنه قبل كذا الف مليون سنة . ثم ان علمك بهذه النجوم هو علم بظاهرها اماكنها فسيبقى مجهولاً حتى يدرس عن كثب وهو درس ناقص ويبقى ناقصاً الى ازمان لا ندرك مداها . والملابسة في رايي شيء داخل في اطار الامكان العقلي ما دامت المحاولة محصورة في ملابسة المطلق المادي وليس (الخالق) فادارك كنهه ممتنع على الوسائل المادية التي تستطيع سبر الفيزياء واسرارها فقط . واترك الاسترسال في هذا الاتجاه تجنباً لاشكالات عسيرة التجاوز اولاً ، ولانه غير ضروري ما دمنا نتكلم في امر محدود هو مستقبل البشر ثانياً ، ولان طبيعة المقالة تضيق عن استيعاب موضوع بهذا الاتساع .

والظرف الآخر المؤشر اليه انفا هو رؤية المستقبل واحتمالاته عن طريق وسطاء بشريين لهم قدرة خارقة في رؤية المغيبات وهي حقيقة لم تعد تحتمل الانكار من قبل المفتونين بالمادة الميتة في تفسير الظواهر الحية والميتة فقد امنت بها دول تذهب مذهب الالحاد المادي . وصادفت اثنين من هؤلاء على وجه اليقين . والمقصود هنا ليس محاولة البرهنة على وجودهم وانما هو طلب الانتفاع بهم وبمواهبهم انتفاعاً علمياً انسانياً حقيقياً يساير الطبائع ويمد طاقاتها في صيغ ميسرة لا تعقيد فيها لان التعقيد يقتل الموهبة . على اي حال ليس لي ان اتقدم بالنصح في كيفية تمرين مثل هذه الطاقات على طريق النماء فموضوعها خاضع للبرمجة العلمية ومحتمل للتشعب الى مجالات تخصص يمكن ان يحصل التعاون بين شعبها المختلفة بغية الوصول الى حقيقة مثمرة . وعلى قدر علمي لم يحز هذا الموضوع من عناية الدول المتقدمة المقدار الذي يستحقه رغم انه على درجة عالية من الخطورة لكونه ظاهرة فريدة تتقدم في اعجازها على سائر حواس الانسان وقواه المدركة واعصى منها على التفسير ، ثم ان نتائجه مذهلة لا سبيل اليها من غير طريقه . ومن المفارقات المسلية ان تحوز لعبة الشطرنج نصيباً اكبر من العناية والاهتمام واقصى احتمالات التنبؤ فيها هي معرفة موت الملك وفوات الحصان بعد كذا نقلة على ساحة لا تتجاوز مساحتها ٢٠ سنتمتراً مضروباً في نفسه ..

واذا كان للباحث في مستقبل الانسان عذره في فقده شرط (الحلول في المطلق) بسبب كون اسبابه لما تزل في بدايات تخلقها فهو ليس معذوراً في عدم امتلاك نظرة شمولية متصلة الاجزاء متساوقة التداعيات متوحدة الاصول والجذور برسوخ مؤكد تجد الارتباط واضحاً بين تحلل يتشا في اكل بايت وبين نجم على بعد خمسة الاف مليون سنة ضوئية وما وراءها من العوالم المقاربة للبعد اللانهائي ، وتتجاوز الذهول في اجتماع واتحاد النقيضين وتتسع لابعد الاحتمالات عن التوقع . ومن المفضل ان يكون ذا طبع هادىء ومزاج معتدل لا يثور او يسخط لجريان الامور بما ليس في الحسبان فالانشغال بالمستقبل البعيد للبشر كثيراً ما يرجع الى حاضره ومستقبله القريب بما فيه من احتمال الاصطدام باشياء رعناء مافونة تضغط على الاعصاب .